

ص. أ. ف.

محيي الدين اللباد: كلما رأى أكثر رسم أجمل

الفني، ثم إلى السيطرة على مجموعة من العناصر المهمة، مثل: النص المكتوب؛ الخط؛ الرسم؛ التصوير؛ تنضيد الحروف؛ المونتاج؛ الورق والطباعة؛ التجليد؛ علاوة على اقتصاديات النشر والتوزيع.

● محيي الدين اللباد واحد من أبناء الريف المصري جاء إلى المدينة لدراسة الطب. وما إن شرع في اختبار علم التشريح حتى انقلب إلى كلية الفنون الجميلة في جامعة القاهرة. وهناك راح يشرِّح الجسد البشري، لا بالمشروط هذه المرة، وإنما بالقلم.

لم يتوغل في دراسة الطب أكثر من ستة أشهر، لكنه أفنى من عمره أكثر من ستة عقود في معمار الرسم، منذ أن ظهرت أولى رسومه في جريدة "التحرير" سنة 1956، وكان لا يزال في المرحلة الثانوية.

● التقطه صلاح جاهين وهو في السنة الثالثة في كلية الفنون الجميلة، وجاء به إلى مجلة "روز اليوسف" ليكون إلى جانب زهدي وحجازي وبهجوري والليثي وبهجت عثمان وإيهاب شاكِر. وقد شكّل هؤلاء جميعاً ريشة واحدة، لكن متعددة الرؤوس، دافعت عن قيم الحرية والعدالة الاجتماعية والتحرر الوطني. وهؤلاء جميعاً صدمتهم هزيمة الخامس من حزيران/يونيو 1967، وألجأت بعضهم إلى الكآبة مثل صلاح جاهين، أو إلى مراجعة الذات والتأمل والتأمل والرحيل مثل رجائي، أو إلى المنفى مثل البهجوري.

● كان اللباد أوسع أفقاً من بعض مجاليه، وشديد الاطلاع على فن الكاريكاتور في أوروبا، مع أنه لم يسافر إلى خارج مصر قبل سنة 1975. وسر ذلك أنه كان، منذ يفاعته، يشتري الصحف والمجلات الأجنبية القديمة من الطباخين و"السفريجية" الذين يعملون في منازل الأجانب المقيمين في مصر أو المترددين عليها. وقد أتاحت له هذه "الخصلة" أن يتابع الرسم الكاريكاتوري الأوروبي والأميركي، ويتتبع أعلامه وتطوره، وزودته بذخيرة معرفية وبصرية جعلته يصبح، مع نفر من أقرانه أمثال حلمي التوني وآخرين، أحد أبرز مصممي الأغلفة والكتب والمجلات في العالم العربي.

● في الرابع من أيلول/سبتمبر 2010 أراح محيي الدين اللباد ركابه من وعثاء السفر، واستراح من الغيظ والقهر، ورقد رقدته الأخيرة بعدما كفت أصابعه عن المشاكسة والنقد الجارح.

● كان أطول رسام كاريكاتور في العالم العربي. ولعل هذه القامة الباسقة جعلته يرى أكثر، فكان شوطاً مميزاً في تاريخ طويل من فن الكاريكاتور المصري الذي ظهر فيه ولمع كل من رخا، وعبد السميع، وطوغان، وصاروخان (الحلبي)، وزهدي، وصلاح الليثي، ورجائي ونيس، ورفقي، وأحمد حجازي، وصلاح جاهين، وبهجت عثمان، وجورج بهجوري، وأحمد عز العرب، ومصطفى حسين، وناجي كامل، وإيهاب شاكِر، ورؤوف عياد، ونبيل السلمي، وغيرهم. غير أن محيي الدين اللباد انفرد عن هؤلاء جميعاً بقدرته على الجمع بين البساطة والتلقائية والنقد الناقد معاً، فبدت رسومه كأنها قريبة من الفن الفطري، مع أنها مشغولة بذوق مرهف ودقة تشكيلية لا تخطنها العين القارئة، وبتناسق بصري صارم المعايير والمقاييس. وكان ميدانه في ذلك كله أغلفة الكتب وتصاميم المجلات، علاوة على كتب الأطفال والفتيان.

● رسوماته الكاريكاتورية مشاكسة وجارحة ولا تقبل المهادنة، مع أنه تأثر بالرسم المصري البهائي الكبير حسين بيكار الذي امتاز، على المستوى الشخصي بالتأمل والصوفية، وعلى المستوى الفني بالهدوء والرقّة. وكانت بداية معرفة اللباد بهذه الرسوم في سنة 1952، وبالتحديد في صفحات مجلة "سندباد". ولعل من غرائب المصادفات أيضاً أن الرسام الحاد والمشاكس بهجت عثمان كان من المتأثرين أيضاً، بقوة، برسوم بيكار، مع أنه اختط مذهباً له في الرسم يختلف في تفصيلاته عن أسلوب بيكار تمام الاختلاف.

● كان يفضل لقب "صانع الكتب" على أي لقب فني آخر. فصناعة الكتب، في رأيه، تشمل الرسم والكتابة والتصميم والإخراج والتنفيذ. وهي ليست حرفة أو باباً للرزق أو صنعة يتعلمها الطالب عند شيخ الكار أو الأسطى، بل هي إبداع وتكوين واشتغال هندسي وعقلي معاً. إنها، كما يقول، مثل إخراج الفيلم أو المسرحية تحتاج إلى التصور

● ولد اللباد سنة 1940 في قرية "شباسة" التابعة لمركز دسوق في الريف المصري. ثم انتقل، لاحقاً، إلى القاهرة لدراسة الطب التي تركها بعد ستة أشهر فقط، والتحق بكلية الفنون الجميلة سنة 1958، وتخرج فيها سنة 1962. ومنذ ذلك الوقت، ولا سيما بعد التحاقه بمجلة "روز اليوسف"، راحت رسومه تنشر في مجلات "صباح الخير" و"الهلال" و"الجمهورية" ثم، لاحقاً، في "وجهات نظر" و"أخبار الأدب" والطبعة العربية لمجلة "لوموند دبلوماتيك".

● نال كتابه "كشكول الرسام" الصادر عن دار الفتى العربي في سنة 1988 جائزة التفاحة الذهبية سنة 1989 من بينالي براتسلافا في سلوفينيا اليوم، وفاز غلاف مجموعة "البيت" لذكريا تامر بجائزة أجمل كتاب في معرض بيروت الدولي للكتاب سنة 1975.

● أصدر ثلاثة أعداد من مجلة "نظر" الكاريكاتورية. وقد سماها "نظر" مستلهماً بيتاً من شعر الأخطل الصغير يغنيه محمد عبد الوهاب هو: "إن عشقتنا فعذرنا أن في وجهنا نظر". وله أيضاً

عدد من الكتب منها: "100 رسم وأكثر" (2001)؛ "30 سؤالاً" (عن انتفاضة الحجارة في فلسطين - 1991)؛ "ملاحظات" (1991)؛ "لغة بدون كلمات" (1994)؛ "تي - شيرت" (1994)؛ "حكاية الكتاب" (1998).

● أسس في القاهرة "الورشة التجريبية العربية لكتب الأطفال" سنة 1976 بالتعاون مع عدد من الكتاب والفنانين أمثال صنع الله إبراهيم، ونبيل تاج، وعدلي رزق الله (من مصر)، وذكريا تامر، ونذير نبعة (من سورية)، وفؤاد الفتيح (من اليمن). وكان أحد مؤسسي "دار الفتى العربي" والمدير الفني لها منذ بدايتها في بيروت سنة 1974 حتى توقفها عن العمل في القاهرة في تسعينيات القرن المنصرم. وهذه الدار التي قامت على يديه وأيدي نفر من رفاقه أمثال حلمي التوني ومحجوب عمر، كانت إحدى أهم دور النشر العربية، وذات تجربة مميزة في الكتابة للأطفال والفتيان، ورائدة حقاً في "صنع الكتاب".

● توقف قلب محيي الدين اللباد عن الخفقان في 2010/9/4، بعد سبعين عاماً على مولده. ■